المقال الثامن

بعض أعظم المبشرين في القرن التاسع عشر

النهضة العظمى

كانت الموجة الأولى للنهضة العظيمة في النصف الأول من القرن (18)، ثم خمدت في النصف الثاني تقريباً. ولكنها تجددت بعد الثورة الأمريكية (1775- 1783م) أي في نهاية القرن (18) وبداية القرن (19). وقد شملت المقاطعات الأمريكية وإنجلترا، لما لهما من ارتباط وثيق. وكان بعض المبشرين ينتقلون ما بين إنجلترا وأمريكا.

وقد تميزت الموجة الثانية من النهضة ببساطة الكرازة والمستوى العالي من العاطفة (التي كثيراً ما كانت موضع نقد)، فوصف أحدهم أحد الإجتماعات بالآتي:" كان الصوت يشبه هدير الشلال، وبدت الساحة المليئة بالبشر وكأنها أمواج تحركها العاصفة. كان البعض يرتلون والبعض يصلون وآخرون ينتحبون طالبين الرحمة بنبرات ولهجات حزينة يرثى لها... وذات مرة رأيت500 منهم على الأقل ينبطحون أرضاً في لحظة، كأنما انفتحت عليهم بطارية من ألف مدفع، وبعدها على الفور شقت صرخاتهم عنان السماء".

أيضاً، تميزت بما نسمية "المبشر الجوال"، الذي كان يسافر من قرية إلى قرية. مثال ذلك " بيتر كارترايت" (1785- 1872م) الذي تجول في ولايات كنتاكي وتنيسي وانديانا، وبلغ عدد خدماته 14000 عظة وعمد 12000شخص. وإلى هؤلاء يرجع الفضل في نمو الكنيسة. كذلك، وصلت النهضة إلى الكليات، وصار البعض يلقي العظات الإنتعاشية للطلبة. وتأسست كليات كنسية صغيرة خلال القرن(19) أكثر مما تأسس قبلاً.

ومن نتائج النهضة، ظهور كيانات وجمعيات مستقلة تخدم المجتمع روحياً واجتماعياً، والاهتمام بقضايا مجتمعية عامة مثل:

* جمعيات تهتم بالإخلاق العامة، وتحارب كل الأمور السلبية والشريرة في المجتمع. ونموذج لهذه الجمعيات، جمعية الشبان المسيحية، التي بدأها بإنجلترا جورج وليامز سنة 1846م- في حجرة صغيرة في فناء كنيسة سانت بول، ليتردد عليها شباب المدينة. بعدها، تم تأسيس جمعية الشابات المسيحية. وقد فتحت فروع لهذه الجمعيات في أمريكا ودول كثيرة في العالم.
* خدمة الملاجئ التي بدأها جورج موللر (1805- 1898م) في سنة 1836م، معتمداً على أمانة الله في تسديد كل الاحتياجات. كانت الملاجئ عملاً من أعمال الرحمة، وكذلك شهادة حية أمام المجتمع على أمانة الله. ولم يكن موللر يطلب شيئاً من أي إنسان، بل من الله مباشرة- ومع هذا وصله حوالي مليونين من الجنيهات منذ بدأ خدمته وحتى يوم وفاته.
* إلغاء الرق: لا ننسى أبداً جهود المؤمنين المسيحيين في محاربة تجارة العبيد، حيث انتقدها جون وسلي وعارضها الكويكرز وآخرين من الجامعات المسيحية. ولكن وليم ولبرفورس (1759- 1833م) هو الذي قاد حملة ضد هذه التجارة في البرلمان الإنجليزي حتى أُلغيت في إنجلترا سنة 1807م. أما في أمريكا، فقد أحدثت هذه القضية إنقساماً بين الشمال والجنوب- ذلك لأن إقتصاد الجنوب كان يعتمد على امتلاك العبيد. وقد أدى هذا إلى إنقسام في الكنيسة وإلى حررب أهلية (1861- 1864م). ولكن جهود المبشرين الشماليين خاصة أدت في النهاية إلى تجريم هذه التحارة البشعة.
* من أكثر المؤسسات التطوعية " جيش الخلاص" الذي قام بتكوينه الجنرال وليم بوث (1829- 1912م) بإنجلترا. ويقوم جيش الخلاص على النظام العسكري، وهدفه الأساسي التبشير وكذلك الإهتمام بحاجات الفئات الفقيرة والمهمشة من المجتمع مثل الفقراء والمحرومين والسجناء والمشردين والذين يعملون في الجنس التجاري. وحالياً، يخدم هذا (الجيش) في 74 دولة ، وأغلب أعضاءه من المتطوعين.
* تكونت جمعية الكتاب المقدس بإنجلترا سنة 1808م، وفي أمريكا سنة 1816م... ثم انتشرت في دول كثيرة بعد ذلك. وقبل ذلك كانت هناك جمعية مهتمة بالكتاب المقدس في المانيا سنة 1710م. وقد ساعدت هذه الجمعيات في العمل المرسلي، حيث تم ترجمة الكتاب إلى الكثير من لغات ولهجات العالم. والآن، ربما لا توجد دولة في العالم، ليس بها خدمة خاصة بنشر الكتاب المقدس.

**والآن- بعد هذه المقدمة- نتقدم لنلقي الضوء على ثلاثة من رجال النهضات في القرن التاسع عشر وهم:**

* **تشارلز فيني**
* **تشارلز سبرجن**
* **داويت ل. مودي**

تشارلز فيني

(1792- 1875م)

في سنة 1830م، قاد فيني نهضة عظيمة في مدينة "روشستر". بعدها بعدة سنوات، كان النائب العام للأقليم يراجع سجلات الحوادث الإجرامية في سنوات ماضية. وقد وجد أن عدد المحكوم عليهم أقل من ثلث عددهم قبل النهضة (رغم أن تعداد المدينة قد تكاثر ثلاث مرات) – وهذا هو الأثر الإيجابي الذي أحدثته النهضة في حياة الناس الإجتماعية لتلك المدينة.

نشأ "تشارلز فيني" في بيت لا يعرف شيئاً عن الحياة المسيحية. وربما أول مرة يقرأ فيها الكتاب المقدس، كانت عندما ذهب ليشتري نسخة منه ليطالع الآيات التي وردت فيه عن الشريعة الموسوية- ذلك لأنه كان يدرس القانون. وجذبته كلمات الكتاب المقدس، فذهب إلى الكنيسة... وكان يحاور ويناقش راعي الكنيسة، الذي خشى على شباب الكنيسة من أن يتشككوا بسبب أسئلة فيني. ولكن أخيراً، عندما اقتنع بصحة الكتاب المقدس، تصالح مع الله. ثم اختبر في نفس اليوم اختبار الملء بالروح القدس. يقول :" ...حل الروح القدس عليَّ بحيث اخترق كل جسدي وروحي. ولا يستطيع أحد أن يصف المحبة العجيبة التي سكنت في قلبي، وبكيت بصوت مرتفع من الفرح والمحبة، وصرخت بصوت عميق ومرتفع فيه عبرت عن خفيات قلبي، وجاءتني هذه الموجات مراراً إلى أن صرخت: سأموت ياسيدي اذا استمرت هذه الموجات تجتاح جسدي، فأني لا أستطيع أن أتحملها أكثر ولكن لم يخالجني الخوف من الموت".

بعد ذلك، بدأ يتعلم ويدرس، لأنه تيقن أن دعوته من الله هي الكرازة بالإنجيل. وفي سنة 1824م حصل على تصريح للخدمة، فسافر إلى القرى التي ليس بها كنائس ليعظ بالإنجيل... وتغيرت بسبب عظاته حياة الكثيرين، كما بنيت كنائس جديدة. كان ذلك في جميع أنحاء مدينة نيويورك أو منطقة الشمال الشرقي لأمريكا.

وكان يحارب الديانة الشكلية في الكنائس لأنها تبتعد هن جوهر العبادة. لذلك، بدأ يجرب أساليب جديدة للخدمة مثل الصلاة من أجل الناس بالاسم، وصلاة النساء العلنية، واستخدم لغة مألوفة للصلاة إلى الله، وكذلك استخدام لغة عامية دارجة في الحوار والمناقشات.ذات مرة، ذهب إلى أحد القرى التي لم تسمع الأنجيل قط، وذلك بناءاً على دعوة من رجل مسن ينتمي لهذه القرية كان يسمعه وهو يخدم في مدينة "انتورب". وبدأ يعظ عن الدينونة؛ دينونة الله على "سدوم" التي لم يكن فيها شخص صالح إلا واحد وهو لوط. يقول فيني:" وبينما كنت أقرر هذه الحقائق، ظهر الغضب على وجوه الناس... ولم أعرف ما الذي أغاظهم، ولكن غضبهم كان يزداد حدة كلما تقدمت في الكلام، وقلت لهم إني أعرف أنه ليس عندكم اجتماعات روحية ولي الحق في أن أستنتج أنكم أشرار. وقد أكدت بشدة على هذا الأمر حتى كاد قلبي يتمزق.... وإذا بهدوء عجيب يسودهم وبدأ المجتمعون يسقطون من فوق مقاعدهم... وهم يصرخون طالبين الرحمة". بعدها مباشرة بدأ يتحدث لكل واحد عن غفران الله في المسيح. ثم ذهب اليهم في اليوم التالي واكتشف أن سبب غضبهم أمس، كان أن هذه القرية اسمها "سدوم" وأن الرجل الذي دعاه للخدمة اسمه "لوط"

لقد تأثر الآلاف من الناس وتصالحوا مع الله بسبب خدمات "فيني"، كما تغيرت أحوال أحياء بكاملها. بعض الذين تأثروا به، نقلوا نيران النهضة إلى مناطق سكنهم، فتغيرت الأحوال في تلك المناطق.

وفي سنة 1834م، عمل "فيني" راعياً لأحد الكنائس في مدينة نيويورك. وصار أستاذاً للاهوت سنة 1835م في كلية "أوبرلين"، ثم عميداً لها سنة 1851م. كما خدم في إنجلترا سنتي 1849، 1858م وكانت نيران الروح القدس تلازمه حيث يذهب، حتى يوم وفاته في "أوبرلين" سنة 1875م.

تشارلز سبرجن

(1834- 1892م)

وُلد في عائلة تقية؛ عائلة من الوعاظ والمبشرين. وقد بدأ يعظ منذ كان صبياً إلى يوم وفاته. ذات مرة، أراد بعض أعضاء أحد الكنائس أن يعرفوا سنه، فقال لهم:" إني تحت الستين"، فقالت له إحدى السيدات:" نعم، ولكنك أيضاً أقل من 16 سنة".

في سنة 1853م، دُعى ليلقي خطاباً على أعضاء اتحاد مدارس الأحد الإقليمي في كمبردج، وكان يشاركه في المنبر عضوان آخران... فاستهزأ أحدهما به قائلاً إنه يجب عليه " أن يقيم في أريحا حتى تنبت لحيته- مشيراً بهذا إلى قصة الرجال الذي أرسلهم داود الملك ليعزو ملك بني عمون، فظنهم جواسيس، فأهانهم وحلق أنصاف لحاهم وأطلقهم ... فقال لهم داود أن يبقوا في أريحا حتى تنبت لحاهم(2صم10: 1-5). وكان أن رد عليه سبرجن:" إن هؤلاء الرجال الذين أُمروا أن يبقوا في أريحا حتى تنبت لحاهم لم يكونوا صغار السن، ولكنهم كانوا قد أهينوا من أعدائهم... فالتطبيق الحقيقي للقصة ليس على الشاب الصغير... بل على الواعظ البالغ السن الذي هزمته الخطية الواضحة وأهانته، فهو يحتاج أن يُخفي نفسه إلى أن يستعيد طهارة أخلاقه فيقف على المنبر". كان سبرجن شجاعاً ومستقيماً، وقد خجل الرجل من كلماته فقد كان متورطاً في إحدى الفضائح (ولكن سبرجن لم يكن يعرف ذلك).

وفي التاسعة عشر من عمره، جاءه خطاب يدعوه ليعظ في كنيسة "نيوبارك ستريت"، وكانت كنيسة مشهورة. تعجب من هذه الدعوة، وأحس أن هناك خطأ ما، ولكن الأمر كان صحيحاً. وعليه، ذهب إلى هناك وألقى بعض العظات، وكانت النتيجة أن طلب منه المسئولين أن يكون راعياً لهم. وقد كان، وظل راعياً لهم لمدة أربعين عاماً.

في سنة 1856م، تزوج من "سوزان طومسون" التي تعرف بها أثناء خدمته بكنيسة "نيوبارك ستريت". وسافر إلى باريس لقضاء شهر العسل (عشرة أيام) زارا فيها الكنائس والقصور والمتاحف. وربما كانت تلك العشرة أيام هي المدة الوحيدة التي لم يعظ فيها سبرجن. وقد وُلد لهما توأم " تشارلز وتوماس"، وصار توماس- عندما كبر- راعياً في الخيمة العظيمة (سنتكلم عليها لاحقاً) التي بناها أبوه.

ولم تكن الحياة سهلة بالنسبة لرجل مثل سبرجن، فقد انتقده البعض وحاول البعض الآخر أن يُفشل خدمته. وقد حدثت مأساة- في نفس الوقت الذي كان الزوجان يستقبلان فيه توأماً- مروعة، إذ شبت النار في إحدى القاعات المستأجرة التي كان يعظ فيها سبرجن، ومات سبعة أشخاص وجرح ثمانية وعشرون آخرون. واجتاز سبرجن في النار؛ في ضيقة شديدة. وانتقد الكثيرون سبرجن أنه استأجر قاعة للموسيقى ووعظ فيها. ولكن التحقيقات أثبتت أن الحادث بفعل بعض اللصوص والمشاغبين. بعدها، حول الله الشر إلى خير، وربحت الكنيسة نفوساً جديدة بسبب هذه المأساة .

وطلب سبرجن أن تتكون لجنة في الكنيسة للمباني، وذلك للتخطيط لإنشاء مبنى جديد لخدمة الأعداد المتزايدة من الناس. قال في إحدى عظاته عن مبنى الكنيسة:" هذا الحائط يجب أن يُهدم كما هُدمت أسوار أريحا". وعليه، تم اختيار مكان جديد... وتم بناءه... وسُمي المبنى " خيمة سبرجن". وكانت الكلمات الأولى التي نطق بها سبرجن في عظته الأولى في الخيمة (أع 5: 42) كما يلي: " إني أريد أن يكون موضوع الخدمة في هذا البيت... هو الرب يسوع المسيح وحده. إني لا أخجل من أن أكون كليفينياً ، ولا أتردد في أن أكون معمدانياً، ولكنكم إذا سألتم ما هي عقيدتيي الحقيقية فإني أجيبكم: أنها يسوع المسيح". وقد أسس سبرجن، كلية الرعاة، وملجأ ستوكابل، ومجلة شهرية، بالإضافة إلى مواعظه وكتاباته التي تبلغ أكثر من مائة مجلد. وبعد أيام حافلة. رقد في الرب وهو يبلغ من العمر خمسة وثمانين عاماً.

داويت ل. مودي

(1837- 1899م)

نشأ "مودي" في ولاية ماساثوستس الأمريكية، وفي سنواته المبكرة فقد أبيه، وواجهت أمه الأرملة ظروفاً صعبة، إلا أنها كافحت كثيراً في تربية أولادها. وكان طفلاً يتصف بالدعابة والفكاهة، كما كان طفلاً مشاغباً. وفي الثامنة من عمره عمل في مخزن حتى يستطيع أن يصرف على دراسته، ثم عمل في صباه في مصنع أحذية في بوسطن يمتلكه عماه – اللذين اشترطا عليه أن يسكن في المكان الذي يحددانه، وكذلك يواظب على اجتماعات الكنيسة ومدرسة الأحد. وقد قاده مدرس مدرسة الأحد إلى المسيح، وقد أشار في إحدى عظاته عن يوم تجديده فقال:" عندمت خرجت من منزلي صباح اليوم الذي تجددت فيه. وجدت نفسي أحب كل الأشياء التي التقيت بها. ولست أذكر أنني أحببت قبلاً إشراق الشمس وهي ترسل أشعاتها إلى الأرض مثلما أحسست في ذلك اليوم. وعندما سمعت الطيور وهي تصدح بأصواتها العذبة أحببتها كما لم أفعل من قبل. لقد كان كل شئ أمامي مختلفاً عما ألفته. لقد أضحى كل شيء أمامي جميلاً عذباً".

بعدها، عمل في شيكاغو كبائع في محل لبيع الأحذية، وتحسنت أحواله المالية كثيراً. وفي وقت فراغه، كان يزور مع جماعة الشباب الأسقفي الفنادق لتوزيع النبذ ودعوة النزلاء لحضور إجتماعات الكنيسة. أيضاً، فتح مودي مدرسة الأحد في غرفة صغيرة في حي شعبي... وكثر عدد التلاميذ وانتقلوا إلى مكان أوسع. ومع الوقت، وصل عدد التلاميذ إلى 1500تلميذاً. بالإضافة إلى مدرسة الأحد، كان يعقد بعض الإجتماعات المسائية للأولاد، كما كان يعقد ظهر كل يوم إجتماع للصلاة في جمعية الشبان المسيحية.

وفي شيكاغو تنقل من عمل إلى آخر، وكان هدفه أن يصير تاجراً ناجحاً. وحتى هذا الوقت ، كان يعتقد أن الحديث مع الشباب عن خلاص نفوسهم هو عمل القسوس فقط. إلى أن جاء يوم وإلتقى به مع مدرس مدرسة الأحد، الذي كان يقود فصل للشابات. جاء وهو حزين لأنه مريض ينتظر الموت، ولم يرى أي ثمر لخدمته في الفصل. وكان أن شجعه مودي... وذهب معه إلى بيت كل شابة ليقودها إلى معرفة المسيح.. وكانت النتيجة مذهلة، إذ قبلت جميع الفتيات المسيح.

تأثر مودي كثيراً بهذه الحادثة، وبدأ الصراع داخله بين أن يظل في عمله ويخدم المسيح في أوقات الفراغ أو يتفرغ كليةً للخدمة. يقول مودي:" ولم أحزن أبداً أو أتأسف على الإختيار الذي أخترته.. ولست أعتقد أنه يوجد في الدنيا فرح أو لذة أعظم من فرح قيادة ضال في هذه الحياة من ظلام هذا العالم إلى نور الله العجيب ومن عبودية الخطية والاثم إلى حرية مجد أولاد الله". ومن يومها وهو يعمل بلا كلل في خدمة المسيح حتى يوم وفاته.

"ماذا تعمل؟ أنا موظف حكومي. حسناً، عليك أن تعتزل عملك". كان هذا جزء من الحديث الذي دار بين مودي وسانكي، حيث طلب منه مودي أن يتفرغ للخدمة للعمل معه في الكرازة. وقد كان.. ومن يومها ارتبط الاثنين معاً. سافرا معاً إلى إنجلترا، حيث قاما بحملات تبشيرية ناجحة... كان مودي يعظ وسانكي يرنم. وعندما عادا إلى أمريكا، قام الأثنان أيضاً بحملات إنتعاشية في معظم المدن الكبرى. بشرا معاً ملايين الناس، وقطعا مسافات كبيرة تقدر بمليون ميل. وكانت الاجتماعات تعقد في الميادين والملاعب، حتى تستوعب الآلاف. ومابين ثلاثة وخمسة إجتماعات يومياً.. في نهاية كل إجتماع يقف الآلاف معلنين توبتهم ورجوعهم إلى الله.

وكانت الجولة التبشيرية الأخيرة لمودي في 8نوفمير 1899م في مدينة كنساس. وفي طريقه إلى هناك، توقف في فلادلفيا ليتفقد مبنى تحت الإنشاء، ثم توقف في شيكاغو والقى على الطلبة خطابين في معهد درس الكتاب.

بعدها، وصل إلى مدينة كنساس مريضاً ومتعباً، ولكن بدأ يلقي بعض العظات وكان آخرها 16نوفمبر 1899م وموضوعها عن " الاعتذارات" كما جاءت في المثل الوارد في (لوقا14: 16- 24) ، وفي يوم 22 نوفمبر 1899م، انتقل إلى السماء؛ إلى الراحة الأبدية.

المراجع:

1. تاريخ الكنيسة(5) لجون لوريمر – مكتبة الثقافة
2. عشرون قرناً في موكب التاريخ لحبيب سعيد – دار الشرق والغرب
3. رواد النهضة( فتشوا الكتب) بقلم تشارلز كلارك- لجنة خلاص النفوس للنشر.
4. تشارلز سبرجن تعريب القس فايز عزيز عبد الملك- لجنة خلاص النفوس للنشر.
5. حياة مودي لأرثر بيرسي - لجنة خلاص النفوس للنشر.